

ما بعد محو أمية اللاجئين والنازحين الداخليين في السودان

بقلم: هاشم أبو زيد، وناعومي لوكوود، ورشيدة عبد المطلب، وتوني رايتسون

أنشطتها التعليمية.

أنشأ المشروع ٢٨ «حلقة» بين اللاجئين والنازحين داخليا ينتمي لعضويتها نحو ١٨٠٠ شخص تجمع الغالبية العظمى منهم بين عضوية الحلقات والقيام بنشاط محلي إضافي - بناء نظم للصراف الصحي، تنفيذ أنشطة تدر دخالاً، وزيادة التوعية. وعلى أساس فردي يكتب الناس الآن رسائل لأفراد أسرهم، ويقرأون لأطفالهم، ويقرأون الصحف ويعلمون بقية أفراد الأسرة القراءة والكتابة.

وقامت المنظمة بتجنيد موظفي اتصال محليين من المخيمات والمستوطنات، ودربتهم على اختيار المشاركين وتسهيل تطوير الحلقة، وتشجيع المشاركين على الكتابة والقراءة وتحرير رواياتهم. وتم تشجيع موظفي الاتصال في البداية على جمع المشاركين في حلقات تركز على أنشطة القراءة والكتابة في أوقات وأماكن محددة. وقد أعطاه ذلك شكلاً غير مقصود بدا متمشياً مع المطالب الأولى لبعض المشاركين (خاصة الموجودين في مناطق حضرية) من أجل اتباع أسلوب تعلم أكثر رسمية

سميرة،

مخيم كركورا للاجئين

لقد ساعدتها الحلقة في الشعور بالثقة وهي تتبادل الأفكار مع صديقاتها. وهي تقول أيضاً إن الصديقات توضحن لبعضهن البعض كيفية تحسين الكتابة بخط اليد والمهارات الأخرى. وهي تعرض على صديقاتها ما تعلمته في الحلقة وتساعدهن على التعلم.

يعيش آلاف اللاجئين، كثير منهم من مبعدي الجيل الثاني أو الثالث، في مخيمات للاجئين في شمال شرق السودان. وقد فر ملايين السودانيين الجنوبيين إلى الشمال حيث تتناثر مستوطنات النازحين داخليا حول أطراف المراكز الحضرية.

خلال فصول التعليم المباشر للبار، وصلت المنظمة إلى أكثر من ستة آلاف متعلم.

وعلى الرغم من النجاحات الأولى، ظلت هناك حواجز أمام التعلم. لم تكن هناك متابعة لفصول محو الأمية ولم تكن هناك «خطوة تالية». وبمجرد انتهاء دورات التعلم تم اعتبار الأشخاص «ملمين بالقراءة والكتابة» وتوقف تقديم التعليم. لقد جعل النقص الشديد في مواد القراءة والكتابة للمتعلمين الجدد واستبعادهم الاجتماعي من المستحيل في واقع الأمر تطبيق مهاراتهم الجديدة.

التعلم من أجل بناء الثقة

رداً على ذلك، قادت كلية التوعية الدولية ومنظمة التعليم المفتوح بالسودان مشروع «بناء التعلم في السودان مع مطبعة المنظمة». ويمكن المشروع المرتبط بفترة ما بعد محو الأمية للاجئين والنازحين المتعلمين حديثاً من كتابة ونشر رواياتهم الخاصة في شكل كتب، ومجلات، ونشرات. ويسعى المشروع لتشجيع القراء النازحين على القراءة بشكل يومي. ومن بدايات متواضعة أصبحت مطبعة المنظمة ناشراً تعليمياً تجارياً متكاملًا يحقق دخلاً لتزويد المنظمة بقاعدة أكثر أماناً للإبقاء على

تفتقر كلتا الجماعتين من الأشخاص النازحين إلى الحصول على

القسط الكافي من التعليم. فاللاجئون والنازحون داخليا على حد سواء مستبعدون من التعليم الرسمي وفرص العمل بسبب حواجز اللغة، والتعامل بسبب النوع/العرق، والافتقار للمهارات الأساسية.

وفي العالم العربي، ركزت برامج محو الأمية بشكل تقليدي على المدارس. وتم إعطاء البالغين الذين لم يدخلوا المدارس فرصة ثانية وواجهوا غرف دراسة، وصفوفاً من الأدرج، ومدرسين، وكتباً مقررة، ووسائل تدريس مستمدة من علم أصول التدريس للأطفال. وانسمت حملات التعبئة واسعة النطاق - التي سجلت أسماء الأميين في فصول محو الأمية لفترة قصيرة - بارتفاع معدل العودة للأمية مرة أخرى وذلك بسبب فقر الأنشطة في فترة ما بعد محو الأمية.

وقد تأثرت البرامج الأحدث بنظرية تعليم الكبار التي تعتبر البالغين موجهين ذاتياً وقادرين على اتخاذ قرارات. وتركز أساليب هذه النظرية - التي تنتقل من حجرة الدراسة والأساليب التي تناسب الجميع إلى تعليم الكبار، بصورة أكبر على العملية وبدرجة أقل على المحتوى^١.

ومع تزايد إدراك المنظمات غير الحكومية والحكومة السودانية للمشكلات التي تواجه برامج محو الأمية والحاجة إلى تطوير استراتيجيات ملائمة لفترة ما بعد محو الأمية، بدأت منظمة التعليم المفتوح بالسودان تلعب دوراً محورياً. وتعمل هذه المنظمة التي أنشأتها كلية التوعية الدولية (مقرها المملكة المتحدة) في عام ١٩٨٤ مع المنظمات غير الحكومية وجماعات النازحين لتشجيع وتقديم عدد من برامج التعليم المفتوح وغير الرسمي. ومن

مشاركات في دورة تعليم الكتابة نظمتها كلية التوعية الدولية



من نوع تعليم حجرات الدراسة يمنح شهادات كفاءة لدى استكمال الدورة.

اتسمت بالبطء عملية زيادة أعداد الحلقات، والتوسع في أنواع أنشطة القراءة والكتابة وتلك التي تقوم على المناقشة، وإنتاج مخرجات من شأنها تشجيع بذل طاقة تحركها دوافع داخلية ومن ثم القضاء على المطالبات بشيء أكثر «رسمية». وعلى الرغم من ذلك، فبمجرد أن أدت الأفكار التي أنتجتها الحلقات إلى نشر روايات وتنظيم حملات تحفيز داخل المجتمعات المحلية، زاد اهتمام ودافع المشاركين والمشاركين المحتملين بشكل مؤثر. وقد ماتت الرغبة من أجل توافر شكل رسمي ومنح شهادات مودة طبيعية بعد أن تجاوزتها الفوائد الواضحة للأنشطة التي أدت إلى تعزيز الاعتداد بالنفس لدي الفرد والمجتمع.

وقد كان حجم ونطاق الكتابات التي تم إنتاجها في المجموعات قيد مثيرين، حيث باتت مئات الروايات الشخصية تكتب بلغات عديدة. إن عملية تفويض شاملة تمكن أفراد المشروع والمستفيدين منه من اختيار أي الروايات التي سيتم نشرها. وأصبح بالإمكان ملاحظة روح جديدة من الثقة بالنفس والدافع الذاتي والتسويق. ويعد هذا الشكل من التعليم التطبيقي لبناء الثقة تمكيناً وليس مجرد عملية مساعدة.

وفي الأعوام الأخيرة قاد مشاركون من حلقات الجيل الأول من المتحمسين وأصحاب الرؤى (المعروفون باسم قادة المجموعات) مجموعات توسع مع الاحتفاظ بعضويتهم في حلقاتهم الأصلية. وقد زاد نطاق الأنشطة داخل مثل هذه المجموعات ليشمل: تحديد وتصميم مواد القراءة، تقييم ريفي بمشاركة الأفراد، عمل المجتمعات المحلية، توليد الدخل، تنظيم المحاضرات، جمع معلومات تتعلق بـ PRA، وتوزيع مطبوعات التعلم. ولا تزال بنود قائمة الأنشطة آخذة في الزيادة.

وقد أصبحت مجموعات المشاركين، على الرغم من أنها لا تزال نشطة بوضوح في الكتابة والقراءة، أكثر قدرة على الاتصال والتنمية بشكل جماعي. ويتحدث زعماء المجتمعات المحلية والمشاركون أنفسهم عن «المنزلة» التي أعطتها أنشطة المجموعات إياهم. أصبح الأفراد يتعلمون، أحياناً للمرة الأولى، مهارات التعاون والتنظيم، وتحديد المشكلات، والتخطيط.

التحديات والاكتشافات

يتمثل أحد الأخطار التي تواجه كافة مشروعات ما بعد محو الأمية في أن توقعات المشاركين

تتجاوز قدرة المشروع على الوفاء بها. أما التحدي الذي يواجه المشاركين أنفسهم فهو تلبية هذه التوقعات بشكل خلاق. لقد نمت المجموعات وتطورت من طاقاتها الذاتية التي دعمتها الأسس المهارية لديهم ورؤيتهم. وأصبحت هذه بدورها أساساً مناسباً لبنني عليه مبادرات تنمية متكاملة أخرى، بما في ذلك مشروعات لتوليد الدخل تتوافر لها احتمالات نجاح كبيرة. ويتناقض هذا مع السيناريو الأكثر شيوعاً لقيام وكالة تنمية «بابتكار» مبادرة تنمية (مثل مشروع توليد الدخل أو للتغذية) وفرضها على مجموعة «تشكلت لهذا الغرض».

لقد شهد المنهج الذي استخدمه هذا المشروع ظهور مجموعات غاية في التنظيم والتركيز

أشيريم،

مستوطنة دار السلام للنازحين داخلياً

«لقد حسنت منظمة التعليم المفتوح حياتي وبالتالي حياة آخرين».

منذ أن أصبح اشيريم مسئول اتصال بمجموعته المحلي أصبح واقفاً من نفسه. وهو يقوم بتسهيل عمل الحلقات في فترة ما بعد محو الأمية، كما أنه يحشد الطاقات لتغيير المجتمع، من صرف المياه والنظافة ومروراً بالصحة وانتهاءً بأنشطة التعليم الأكثر اتساعاً. إنه ملتزم بتغيير حياة الناس، وهو يشرح أن زوجته كانت أمية، لكنها تشارك الآن في الحلقة. وقد أحضر خبراء ليتحدثوا إلى أفراد الحلقة عن مسائل صحية وتعليمية، ويات يقيم علاقات مع منظمات أخرى.

والتأهيل قامت بتحديد احتياجاتها ووضعت هياكل الإدارة الخاصة بها لتناسب احتياجاتها. وقد بدأت المجموعات والمجتمعات المحلية في الحصول على رأسمال اجتماعي ومالي. ويتركز التحدي الذي يواجه المشروع الآن على كيفية العمل مع المشاركين المحتملين الذي قد يوفرون رأسمال مالي.

ويواجه المشروع مجموعة من المآزق والتساؤلات:

- هل ستمكن الحلقات من الاستمرار في شكلها الحالي؟ كيف ستتطور؟
- هل لنا أن نطلق بشأن طلب استقرار عضوية المشاركين. أم نقبل بنوع أكثر ميوعة بكثير من العضوية أو الانتساب من

- قبل الفئات المختلفة للمشاركين؟
- كيف يتطور عمل مسؤولي الاتصال بالمجتمعات المحلية؟
- كيف يمكن توسيع نطاق المزيد من أنشطة «التنمية المتكاملة» مع الاستمرار في السماح بالتركيز على خبرات المشاركين في القراءة والكتابة؟
- هل نحن نحقق تمكيناً تطبيقياً - عمل تحريري مع إدراك ووعي اجتماعيين؟
- هل السياقات المختلفة تري بقاء وتطور مجموعات مختلفة من المشاركين بأساليبها الخاصة والفريدة؟
- كيف يجب أن نشعر إذا تحركت المجموعات في اتجاهات مختلفة تماماً باستخدام تعلمها التطبيقي؟
- هل يظل هدف تحريك المجتمع المحلي هو نفس هدف المشروع؟
- إذا كنا مشروعاً، وإذا كانت هناك عملية أو نظام لفترة ما بعد محو الأمية، متي سيأتي «الانتهاء»؟

إن مشروع «بناء التعلم في السودان مع مطبعة المنظمة» يعد نموذجاً له قوة الدفع الخاصة به، وهي قوة دفع أوجدتها وتمتلكها المجتمعات المحلية ذاتها. وترجع ملكية المشاركين للعملية إلى حقيقة أن كلماتهم تحولت إلى نصوص مادية، ومنشورة وموزعة على نطاق واسع. إن أصواتهم وكلماتهم موجودة في هذه النصوص لأشخاص أمثالهم حرموا في السابق من حرية الدخول إلى عالم القراءة.

هاشم أبو زيد

معلم كبار سوداني محنك البريد

الإلكتروني: hashimasafi@hotmail.com

رشيدة عبد المطلب

مديرة منظمة التعليم المفتوح بالسودان،

الخرطوم البريد الإلكتروني:

solo123s@hotmail.com

ناعومي لوكوود

منسقة المشروعات بكلية التوعية الدولية،

كامبريدج، المملكة المتحدة

(www.iec.ac.uk)

البريد الإلكتروني: naomi@iec.ac.uk

توني رايتسون

مستشار تعليمي (يعمل لدي كلية التوعية

الدولية) البريد الإلكتروني:

tony.richard@xtra.co.nz

١ لمزيد من المعلومات عن نظرية تعليم الكبار، انظر .
www.andragogy.net